وستماية ذراع واتصلت العمارة بها ايام بني امية ثمانية فراسخ طولا وفرسخين عرضا وذلك من الاميال
اربعة وعشرون في الطول وفي العرض ستة وكل ذلك ديار وقصور ومساجد وبساتين بطول ضفة الوادي
المسمى بالوادي الكبير وليس في الاندلس واد يسمى باسم عربي غيره ولم تزل قرطبة في الزيادة منذ الفتح الاسلامي الي
سنة اربعماية فانحطت واستولى عليها الخراب بكثرة الفتن الي ان كانت الطامة الكبرى عليها باخذ العدو الكافر
لها في ثالث عشري شوال سنة ثلاث وثلاثين وستماية ثم قال هذا القايل ودور قرطبة اعني المسور منها
دون الارباض ثلاثة وثلاثون الف ذراع ودور قصر امارتها الف ذراع وماية ذراع انتهى وعدد ارباضها
احدى وعشرين في كل ربض منها من المساجد والاسواق والحمامات ما يقوم باهله ولا يحتاجون الي غيره
وبخارج قرطبة ثلاثة الاف قرية في كل واحدة منبر وفقيه مقلس تكون الفتيا في الاحكام والشرايع له وكان
لا يجعل القلنسوة عندهم على راسه الا من حفظ الموطا وقيل من حفظ عشرة الاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
وحفظ المدونة وكان هولاء المقلسون المجاورون لقرطبة ياتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة بقرطبة ويسلمون
عليه ويطالعونه باحوال بلادهم انتهى قال وانتهت جباية قرطبة ايام ابن ابي عامر الي ثلاثة الاف الف دينار
بالانصاف وقد ذكرنا في موضع اخر ما فيه مخالفة لهذا فالله اعلم وما احسن قول بعضهم دع عنك حضرة بغداد وبهجتها
ولا تعظم بلاد الفرس والصين . فما على الارض قطر مثل قرطبة . وما مشى فوقها مثل ابن حمدين
وقال غيره قرطبة قاعدة الاندلس ودار الملك التي يجبى ثمرات كل جهة وخيرات كل ناحية واسطة بين الكور
موفية على النهر زاهرة مشرقة احدقت بها المنى فحسن مرآها وطاب جناها وفي كتاب فرحة الانفس لابن غالب
اما قرطبة فانه اسم ينحو الي لفظ اليونانيين وتاويله القلوب المشككة وقال ابو عبيد البكري انها في لفظ القوط
بالظاء المعجمة وقال الحجاري الضبط فيها باهمال الطا وضمها وقد يكسرها المشرقيون في الضبط كما يعجمها
الحزون انتهى وقال بعض العلماء اما قرطبة فهي قاعدة الاندلس وقطبها وقطرها الاعظم وام مداينها
ومساكنها ومستقر الخلفا ودار المملكة في النصرانية والاسلام ومدينة العلم ومقر السنة والجماعة نزلها جماعة
من التابعين وتابعي التابعين ويقال نزلها بعض من الصحابة وفيه كلام وهي مدينة عظيمة ازلية من بنيان
الاوايل طيبة الماء والهواء احدقت بها البساتين والزيتون والقرى والحصون والمياه والعيون من كل
جانب وبها المحرث العظيم الذي ليس في بلاد الاندلس مثله ولا اعظم منه بركة وقال الرازي قرطبة ام
الداير وسرة الاندلس وقرارة الملك في القديم والحديث والجاهلية والاسلام ونهرها اعظم انهار الاندلس
وبها القنطرة التي هي احدى غرايب الارض في الصنعة والاحكام والجامع الذي ليس في بلاد الاندلس والاسلام
اكبر منه وقال ابن سعيد رحمه الله في المغرب هي اعظم مدينة بالاندلس وليس بجميع المغرب لها عندي
شبيه في كثرة الاهل وسعة المحل وفسحة الاسواق ونظافة المحال وعمارة المساجد وكثرة الحمامات والفنادق ويزعم قوم
من اهلها انها كاحد جانبي بغداد وان لم تكن كاحد جانبي بغداد فهي قريبة من ذلك ولاحقة به وهي مدينة
حصينة ذات سور من حجارة ومحال حسنة وفيها كانت سلاطينهم قديما ودورهم داخل سورها المحيط بها
واكثر ابواب القصر السلطاني من البلد وجنوب قرطبة على نهرها قال وقرطبة هذه باينة عن مساكن اربابها
ظاهرة ودرت بها في غير يوم في قدر ساعة وقد قطعت الشمس خمس عشرة درجة ماشيا وقال الفتح في المطمح
كانت قرطبة في الدولة المروانية قبة الاسلام ومجتمع اعلام الانام بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها
تمحضت خلاصة القبايل المعدية واليمانية واليها كانت الرحلة في رواية الشريعة والشعرا وكانت
مركز الكرما ومعدن العلما ولم تزل تملا الصدور منها والحقايب ويباري فيها اصحاب الكتب اصحاب
الكتايب ولم تبرح ساحاتها مجر عوالي ومجرى سوابق ومحط معالي وحمى حقايق وهي من بلاد الاندلس
بمنزلة الراس من الجسد والزور من الاسد ولها الداخل الفسيح والخارج الذي يمتع البصر بامتداده
فلا يزال مسرح بها وهو من تردد النظر طليح وقال ايضا حضرة قرطبة منذ استفتحت الجزيرة هي كانت
منتهى الغاية ومركز الراية وام القرى وقرارة اولي الفضل والتقى ووطن اولي العلم والنهى وقلب الاقليم
وينبوع متفجر العلوم وقبة الاسلام وحضرة الامام ودار صوب العقول وبستان ثمر الخواطر وبحر درر
القرايح ومن افقها طلعت نجوم الارض واعلام العصر وفرسان النظم والنثر وبها انشيت التاليفات
الرايقة وصنفت التصنيفات الفايقة والسبب في تبريز القوم حديثا وقديما على من سواهم ان افقهم
القرطبي لم يشتمل قط الا على البحث والطلب لانواع العلم والادب انتهى قال الامام علي بن سعيد
اخبرني والدي ان السلطان الاعظم ابا يعقوب بن عبد المومن قال لوالدي محمد بن عبد الملك بن سعيد ما
عندك في قرطبة قال فقلت له ما كان لي ان اتكلم حتى اسمع مذهب امير المومنين فيها فقال السلطان ان ملوك
بني امية حين اتخذوها حضرة ملكهم لعلى بصيرة الديار الكثيرة المنفسحة والشوارع المتسعة والمباني
الفخمة والنهر الجاري والهوا المعتدل والخارج النضر والمحرث العظيم والشعرى الكافية والتوسط بين
شرق الاندلس وغربها قال فقلت ما ابقى لي امير المومنين ما اقول ثم قال ابن سعيد ومن كلام والدي في
شانها هي من احسن بلاد الاندلس مباني واوسعها مسالك وابرعها ظاهرا وباطنا وتفضلها اشبيلية بسلامتها
في فصل الشتا من كثرة الطين ولاهلها رياسة ووقار لا تزال سمة العلم متوارثة فيهم الا ان عامتها اكثر
الناس فضولا واشدهم تشنيعا وتشغيبا ويضرب بهم المثل ما بين اهل الاندلس في القيام على الملوك
والتشنيع على الولاة وقلة الرضى بامورهم حتى ان السيد ابا يحيى بن ابي يعقوب بن عبد المومن لما انفصل عن
ولايتها قيل له كيف وجدت اهل قرطبة قال مثل الجمل ان خففت عنه الحمل صاح وان اثقلته به صاح ما ندري

اين رضاهم فنقصده ولا اين سخطهم فنتجنبه وما سلط الله عليهم حجاج الفتنة حتى كان عامتها شرا
من عامة العراق وان العزل منها لما قاسيت من اهلها عندي ولاية واني ان كلفت العود اليها لقايل لا يلدغ المومن
من جحر مرتين قال والدي ومن محاسنها ظرف اللباس والتظاهر بالدين والمواظبة على الصلاة وتعظيم اهلها
لجامعها الاعظم وكسر اواني الخمر حيث ما وقع عين احد من اهلها عليها والتستر بانواع المنكرات والتفاخر
باصالة البيت وبالجندية وبالعلم وهي اكثر بلاد الاندلس كتبا واشد الناس اعتناء بخزاين الكتب صار
ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة حتى ان الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في ان تكون
في بيته خزانة كتب وينتخب فيها ليس الا لان يقال فلان عنده خزانة كتب والكتاب الفلاني ليس هو
عند احد غيره والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصله وظفر به قال الحضرمي اقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق
كتبها مدة اترقب فيه وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء الي ان وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح ففرحت به
اشد الفرح فجعلت ازيد في ثمنه فيرجع الي المنادي بالزيادة علي الي ان بلغ فوق حده فقلت له يا هذا ارني
من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه الي ما لا يساوي قال فاراني شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه وقلت
له اعز الله سيدنا الفقيه ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده
فقال لي لست بفقيه ولا ادري ما فيه ولكني اقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لاتجمل بها بين اعيان البلد
وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب فلما رايته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم ابال بما ازيد فيه والحمد لله
على ما انعم به من الرزق فهو كثير قال الحضرمي فاحرجني وحملني على ان قلت له نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك
يعطي الجوز من لا عنده اسنان وانا الذي اعلم ما في هذا الكتاب واطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلا
وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه قال ابن سعيد وجرت مناظرة بين يدي منصور بني عبد المومن بين الفقيه
العالم ابي الوليد بن رشد والرئيس ابي بكر بن زهر فقال ابن رشد لابن زهر في كلامه ما ادري ما تقول غير انه
اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الي قرطبة حتى تباع فيها واذا مات مطرب بقرطبة فاريد بيع تركته حملت
الي اشبيلية ووصف ابن بشكوال قصر قرطبة فقال هو قصر اولي تداولته ملوك الامم من لدن عهد موسى النبي
صلى الله على نبينا وعليه وسلم وفيه من المباني الاولية والآثار العجيبة لليونانيين ثم للروم والقوط والامم السا
ما يعجز الوصف ثم ابتدع الخلفا من بني مروان منذ فتح الله عليهم بالاندلس بما فيها في قصرها البدايع الحسان واثروا
فيه الآثار العجيبة والرياض المونقة واجروا فيه المياه العذبة المجلوبة من جبال قرطبة على المسافات
البعيدة وتمونوا المؤن الجسيمة حتى اوصلوها الي القصر الكريم واجروها في كل ساحة من ساحاته وناحية
من نواحيه في قنوات الرصاص تؤديها منها الي المصانع صور مختلفة الاشكال من الذهب الابريز والفضة
الخالصة والنحاس المموه الي البحيرات الهايلة والبرك البديعة والصهاريج الغريبة في احواض الرخام
الرومية المنقوشة العجيبة قال وفي هذا القصر القباب العالية السمك المنيعة العلو التي لم ير الراوون مثلها في مشارق
الارض ومغاربها قال ومن قصوره المشهورة وبساتينه المعروفة الكامل والمجدد وقصر الحاير والروضة
والزاهر والمعشوق والمبارك والرشيق وقصر السرور والتاج والبديع قال ومن ابوابه التي فتحها الله
لنصر المظلومين وغياث الملهوفين والحكم بالحق الباب الذي عليه السطح المشرف الذي لا نظير له في الدنيا وعلى
هذا الباب باب حديد وفيه حلق لاطون قد اثبتت في قواعدها وقد صورت صورة انسان فتح فاه وهي
حلق باب مدينة اربونة من بلاد الافرنج وكان الامير محمد قد افتتحها فجلب حلقها الي هذا الباب وله باب قبلي
ايضا وهو المعروف بباب الجنان وقدام هذين البابين المذكورين على الرصيف المشرف على النهر الاعظم مسجدان
مشهوران بالافضل كان الامير هشام الرضي يستعمل الحكم في المظالم فيهما ابتغاء ثواب الله الجزيل وله باب ثالث
يعرف بباب الوادي وله باب بشماليه يعرف بباب قورية وله باب رابع يدعى بباب الجامع وهو باب قديم كان
يدخل منه الخلفا يوم الجمعة الي المسجد الجامع على الساباط وعلا ابوابا بعد هذا حطت ايام فتنة المهدي بن عبد
الجبار وذكر ابن بشكوال رحمه الله تعالى ان ابواب قرطبة سبعة باب القنطرة الي جهة القبلة ويعرف بباب
الوادي وباب الجزيرة الخضرا وهو على النهر وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة وباب ابن عبد الجبار وهو
باب طليطلة وباب رومية وفيه تجتمع الثلاثة الوصف التي تشق دايرة الارض من جزيرة قادس الي قرمونة
الي قرطبة الي سرقسطة الي طركونة الي اربونة مارة في الارض الكبيرة ثم باب طليرة وهو ايضا باب عامر القرشي وقدامه
المقبرة المنسوبة اليه ثم باب الجوز ويعرف بباب بطليوس ثم باب العطارين وهو باب اشبيلية انتهى وذكر
ايضا ان عدد ارباض قرطبة عندما انتهت في التوسيع والعمارة احد وعشرون ربضا منها القبلية بعدوة النهر
ربض شقندة وربض منية عجب واما الغربية فتسعة ربض حوانيت الريحاني وربض الرقاقين وربض مسجد
الكهف وربض بلاط مغيث وربض مسجد الشفا وربض حمام الالبيري وربض مسجد مسرور وربض الروضة وربض السجن
القديم واما الشمالية فثلاثة ربض باب اليهود وربض مسجد ام سلمة وربض الرصافة وربض الشرقية سبعة ربض
شبلار وربض فرن بربيل وربض البرج وربض منية عبد الله وربض منية المغيرة وربض الزاهرة وربض
المدينة العتيقة قال ووسط هذه الارباض قصبة قرطبة التي تختص بالسور دونها وكانت هذه
الارباض دون سور فلما كانت ايام الفتنة صنع لها خندق يدور بجميعها وحايط مانع وذكر ابن غالب انه
كان دور هذا الحايط اربعة عشر ميلا وشقندة معدودة في المدينة لانها مدينة قديمة كانت مسورة
قال ابن سعيد في المغرب ولنذكر الان من منتزهات قرطبة ومساجدها المذكورة في الانس نخبا
وننقل ما انتهى اليه الضبط من غير تغلغل في غير المشهور منها والاهم ونوشح ذلك بجمع ما يحضرني في مختار

King Saud University Copyright

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)